الفصل الثامن :

تأثير المؤتمرات الدولية في التربية البيئية

مقدمة:

يؤكد الباحثون بأن التربية البيئية ليست حديثة العهد، بل أن لها جذورها القديمة في ثقافات الشعوب. وثمة رأي يرجع نشأة التربية البيئية إلى القرن التاسع عشر، من خلال ربط التربية بالطبيعة. وتلقي الأديان السماوية على عاتق الإنسان مسؤولية استثمار الطبيعة والعناية بها، معتبرة إن سوء إدارة الطبيعة إثم كبير شأنه في ذلك شأن الخطايا الأخلاقية، وأن الاهتمام بالطبيعة ورعايتها هو فضيلة أخلاقية أساسية، داعية الإنسان على نحو واضح وصريح إلى التعاطف مع الطبيعة وعدم إساءة استخدامها، إلى جانب تحبيب الطبيعة إلى الإنسان وتقربه منها، وجعل ما بين الإنسان والطبيعة انسجامًا وألفة ومودة.. بيد أن التربية البيئية كفكر وممارسة وتطبيق اكتسبت محتواها العلمي، كجزء متمم للعلوم البيئية، وتطورت على نحو كبير، في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين، بفضل الحركة المتنامية والمتصاعدة لأنصار البيئة وحماتها،وتحت تأثير الأنشطة، وخاصة المؤتمرات العلمية الدولية التي كرست للبيئة ومشكلاتها..

مؤتمر ستوكهولم:

ومما تجدر الإشارة إليه أنه بعد مؤتمر ستوكهولم وبتأثيره سرت موجة اهتمام عارمة بالتربية البيئية، وتمثل ذلك بالمؤتمرات والندوات التي انعقدت في مختلف مناطق العالم

من أجل وضع أساس لبرامج التربية البيئية في التعليم النظامي والتعليم غير النظامي. وكان ميثاق بلغراد/ يوغسلافيا الذي صدر عن المشغل الدولي للتربية البيئية عام 1975 بمثابة إطار شامل حدد أسس العمل في مجال التربية البيئية، مؤكدًا على أن هذا المجال يهدف إلى تطوير عالم يكون سكانه أكثر وعيًا بالبيئة واهتماما بمشكلاتها، ويمتلك من المعارف والمهارات والمواقف والالتزام بالعمل فرادي وجماعات، ما يلزم لحل المشكلات القائمة وتجنب حدوث مشكلات جديدة.

ولقد كان لمؤتمر ستوكهولم، بما أبداه من اهتمامات وتوجيهات، أثره في اتجاه التفكير صوب الأخذ بتوجهات جديدة في معالجة مشكلات البيئة.ذلك أنه إذا صح ان الجوانب البايولوجية والفيزيائية تشكل الأساس الطبيعي للبيئة البشرية، فان ابعادها الاجتماعية -الثقافية والاقتصادية هي التي تحدد ما يحتاج إليه الإنسان من توجيهات ووسائل فكرية وتقنية كفهم الموارد الطبيعية واستخدامها على نحو أفضل في تلبية احتياجاته.وفي هذا الإطار شهدت الأعوام الأخيرة نمو حركة على المستويات الوطنية والإقليمية والدولية من التأمل في دور التربية البيئة وأهدافها.وأمكن التوصل إلى وضع المفاهيم الكفيلة بتوجيه التطبيق العملي لهذه التربية توجيهًا جديدًا وذلك بفضل كل من الندوة الدولية في بلغراد عام 1975 وندوات إقليمية عقدت خلال عام 1976 و 1977 بمناطق مختلفة من العالم في إطار البرنامج الدولي للتربية البيئية، من بينها الندوة العربية للتربية البيئية التي عقدت بالكويت في نوفمبر 1976، وكان المؤتمر الدولي الحكومي الذي عقد في مدينة تبليسي السوفيتية في أكتوبر أخر لقاء دولي سعى إلى تنمية التربية البيئية ووسائل نشرها.

ندوة بلغراد

لقد حددت ندوة بلغراد التي عقدت في أكتوبر 1975 بدعوة من اليونسكو وبالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة للبيئة، غايات وأهداف وخصائص التربية البيئية والمنتفعين بها.. وتهدف التربية البيئية (وفق ما اتفق عليه في مؤتمر بلغراد) إلى إعطاء

الإنسان القدرة على فهم ما تتميز به البيئة من طبيعة معقدة نتيجة للتفاعل الدائم بين مكوناتها يالبايولوجية والفيزيائية والاجتماعية والثقافية.وتمد الفرد بالوسائل والمفاهيم التي تمكنه من تفسير علاقة التكافؤ والتكامل التي تربط بين هذه المكونات المختلفة في الزمان والمكان بها يساعد على إيضاح الطريق السوي نحو استخدام موارد البيئة بمزيد من العقلانية والحيطة لتلبية الاحتياجات المادية والروحية للإنسان في حاضره ومستقبله له وللأجيال من بعده.

ميثاق بلغراد:

لقد أولى ميثاق بلغراد اهتماما كبيرًا للإشكاليات الرئيسة في التربية البيئة، محددًا غايات وأهداف التربية البيئية، وخصائصها، والمنتفعون بها،كانت ومازالت بمثابة إطار علمي للتربية البيئية، وأصبحت مرشدًا للتربويين البيئيين. وسوف نتعرض لها بشيء من التفصيل على النحو التالي:

(1) غايات وأهداف التربية البيئية:

تهدف التربية البيئية إلى تمكين الإنسان من فهم ما تتميز به البيئة من طبيعة معقدة نتيجة للتفاعل بين جوانبها البايولوجية والفيزيائية والاجتماعية والثقافية.. ولابد لها بالتالي من أن تزود الفرد والمجتمعات بالوسائل اللازمة لتفسير علاقة التكافل التي تربط بين هذه العناصر المختلفة في المكان والزمان بما يسهل توائمهم مع البيئة ويساعد على استخدام موارد العالم بمزيد من التدبير والحيطة لتلبية احتياجات الإنسان المختلفة في حاضره ومستقبله، وينبغي للتربية البيئية كذلك أن تسهم في خلق وعي وطني بأهمية البيئة لجهود التنمية كما ينبغي لها أن تساعد على إشراك الناس بجميع مستوياتهم وبطريقة مسؤولة وفاعلة في صياغة القرارات التي تنطوي على مساس بنوعية بيئتهم بمكوناتها المختلفة، وفي مراقبة تنفيذها.. ولهذه الغاية ينبغي للتربية البيئية أن تتكفل بنشر المعلومات عن مشروعات إنمائية بديلة لا تترتب عليه آثار ضارة بالبيئة، إلى جانب الدعوة إلى انتهاج طرائق للحياة تسمح بإرساء علاقات متناسقة معها.ومن غايات

التربية البيئية أيضًا تكوين وعي واضح بالتكامل البيئي في عالمنا المعاصر حيث أنه يمكن أن تترتب على القرارات التي تتخذها البلاد المختلفة وعلى مناهج سلوكها آثار على النطاق الدولي. وثمة دور بالغ الأهمية للتربية البيئية من هذه الناحية يتمثل في تنمية روح المسؤولية والتضامن بين بلاد العالم بصرف النظر عن مستوى تقدم كل منها، لتكون أساسًا لنظام يكفل حماية البيئة البشرية وتطويرها وتحسينها. إن بلوغ هذه الغايات إنما يفترض تكفل العملية التربوية بنشر معارف وقيم وكفايات عملية ومناهج سلوك من شأنها أن تساعد على فهم مشكلات البيئة وحلها..فبالنسبة للمعارف يتعين على التعليم أن يوفر الوسائل اللازمة وبدرجات متفاوتة في تعميقها وخصوصياتها تبعًا لتباين جماهير المتعلمين لإدراك وهم العلاقات القائمة بين مختلف العوامل البايولوجية والفيزيائية والاجتماعية والاقتصادية التي تتحكم بالبيئة من خلال آثارها المتداخلة في الزمان والمكان، وإذ يقصد من هذه المعارف أن تسفر عن تطوير مناهج السلوك وأنشطة مراتية لحماية البيئة وتحسينها، فمن الضروري أن يتم تحصيلها بقدر الإمكان عن طريق وضع البيئات الخاصة موضع الملاحظة والدراسة والتجربة العلمية.. وفيما يتعلق بالقيم ينبغي للتربية البيئية أن تطور مواقف ملائمة لتحسين نوعية البيئة، فلا سبيل إلى إحداث تغيير حقيقي في سلوك الناس اتجاه البيئة إلا إذا أمكن لغالبية الأفراد في مجتمع معين أن يعتنقوا عن إرادة حرة ووعي قيم أكثر إيجابية تصبح أساسًا لانضباط ذاتي. ولهذه الغاية ينبغي للتربية البيئية أن تسعى إلى توضيح وتنسيق ما لدى الأفراد والمجتمعات من اهتمامات وقيم أخلاقية وجمالية واقتصادية بقدر ما لها من تأثير على البيئة.. أما عن الكفايات العملية الهدف هو تزويد كافة أفراد المجتمع،أي مجتمع، بمجموعة بالغة التنوع من الكفايات العلمية والتقنية تسمح بإجراء أنشطة رشيدة في مجال البيئة وذلك عن طريق الاستعانة بأساليب متعددة تتفاوت في درجة تعقيدها والمقصود بوجه عام هو إتاحة الفرصة في كافة مراحل التعليم المدرسي وغير المدرسي لاكتساب الكفايات اللازمة للحصول على المعارف التي تتوافر في البيئة والتي تسمح بالمشاركة في إعداد حلول قابلة للتطبيق على المشكلات الخاصة بالبيئة وتحليلها

وتقييمها، ذلك لأن القيام بصورة مباشرة ومحدودة بأنشطة ترمي إلى حماية البيئة وتحسينها هو خير وسيلة لتنمية هذه الكفايات .

إن هذه الأهداف كلها تشكل عملية تربوية موحدة حيث لا طائل يرجى من أنشطة تربوية ترمي إلى تحقيق أهداف معينة بصورة مشتتة وجزئية، وليس يجدي ذلك كثيرًا في تطوير نهج جديد شامل اتجاه البيئة.

(2) خصائص التربية البيئية

إن السعي إلى تحقيق الغايات والأهداف التي مر ذكرها يضفي على عملية التعلم خصائص معينة ويتطلب توافر شروط معينة فيها، سواء في ما يتعلق بتصميم مضمون التربية وتنظيمه، أو بأساليب التعليم والتعلم وطريقة تنظيم هذه العملية.

وقد تكون أهم سمة لهذه التربية هي كونها تتجه إلى حل مشكلات محدودة للبيئة الإنسانية، فهدفها معاونة الناس أيًا كانت الفئة التي ينتمون إليها، وأيًا كان مستواهم، على إدراك المشكلات التي تقف حائلًا دونما فيه خيرهم كأفراد وجماعات وتحليل أسبابها وتقييم الطرق والوسائل الكفيلة بحلها. وهي تهدف كذلك إلى إشراك الفرد في وضع تحديد اجتماعي للاستراتيجيات والأنشطة الرامية إلى حل المشكلات التي تؤثر على نوعية البيئة. وإذا كانت توجد اليوم مشكلات بيئية كثيرة، فمرد ذلك في جانب منه إلى أن قلة ضئيلة من الناس كانوا قد أعدوا لتبني مشكلات تتسم بالتحديد والتعقيد، فضلًا عن إيجاد حلول فاعلة لها. وقد أساء التعليم التقليدي، بإفراطه في التجريد وعدم التناسق إعداد الأفراد لمواجهة ما يطرأ على واقعهم من تعقيدات متغيرة ، في حين أن التربية التي تتخذ من مشكلات بيئية محدودة محورًا لها تتطلب على العكس تظافر المعارف بشتى جوانبها لتفسير الظواهر الواقعة المعقدة. ومع ذلك تبرز سمة أخرى من سماتها الأساسية، وهي كونها تأخذ بمنهج جامع لعدة فروع علمية في تناول مشكلات البيئة. والواقع أنه يحسن لفهم هذه المشكلات على نحو سليم أن تكون على البيئة من وجوه الترابط القائمة بين الظواهر والأوضاع السائدة والتي كان أتباع نهج يعتم غلى

فرع واحد من فروع العلوم سينحو إلى تجزأتها. فالنهج الجامع لعدة فروع علمية يتجاهل الحدود الفاصلة بين العلوم التخصصية ويعنى بإعطاء نظرة أكثر شمولًا وابعد عن التبسيط للمشكلات الماثلة، إذ انه لا يتمثل في البدء بوضع العلوم المختلفة جنبًا إلى جنب، ولكن في فهم العملية فهمًا شاملًا قبل التطرق إلى تحليل إحدى المشكلات الخاصة وحلها.. على أن التوصل إلى تربية جامعة لعدة فروع علمية بصورة حقة يشكل مطلبًا صعبًا ينبغي أن نسعى إلى تحقيقه تدريجيًا .. ويفترض لذلك أن تقوم اتصالات ميسرة بين المعلمين بفضل ما يتلقاه المختصون من تدريب جديد ووضع نظام ملائم للتعليم يأخذ في اعتباره الروابط الفكرية والمنهجية بين فروع العلم على اختلافها. وتدعو الحاجة إلى وضع تعليم يستجيب للاحتياجات الاجتماعية استجابة فاعلة للتنويه بإحدى الخصائص الرئيسية الأخرى للتربية البيئية وهي انفتاحها على المجتمع المحلي المعين. فليس يفترض في التربية التي تهدف إلى حل مشكلات بيئية محدودة أن تعمل على تنمية المعارف والمهارات وحسب، بل وان تعمل أيضًا وبوجه أخص على تطوير عرف محلي يمارس في بيئات محدودة، ومن التحقق أن الأفراد والجماعات لا يولون اهتمامهم لنوعية البيئة، ولا يتحركون لحمايتها أو تحسينها بعزم وإصرار إلا في غمار الحياة اليومية لمجتمعهم المحلي، وحين يواجهون ما يعترض سبيلهم من مشكلاتها.. ولهذا النهج الجماعي أهمية لأنه من الجلي أن كثيرًا مما يسمى بالمشكلات الوطنية لا يعدو كونه حصيلة مشكلات فردية وان كانت مشتركة بين عدة مجتمعات محلية في وقت واحد.. وإذا أمكن حل مشكلات معينة تخص أحد المجتمعات المحلية فإننا نكون قد قطعنا بذلك في الوقت نفسه شوطًا صوب تحسين البيئة لصالح مجتمع أوسع نطاقًا مثل القطر أو المنطقة. ويتطلب تحسين نوعية البيئة من ناحية أخرى، توفر الإدارة السياسية اللازمة، ونهوض شتى قطاعات المجتمع ببذل جهود لدعمها بكفاياتها وبما تملكه من وسائل متعددة. ذلك أن التظافر الحقيقي بين قدرات المعرفة وغيرها من العناصر مثل القيم والنظرة الجمالية والمهارات العملية في إطار الجهود المنسقة ومشاركة الأفراد داخل مختلف الجماعات والمرافق التي يتكون منها المجتمع

المحلي، سيؤدي إلى فهم البيئة وترشيد إدارتها وتحسينها. وهناك في النهاية جانب آخر من الجوانب الأساسية للتربية البيئية وهو ما تتميز به طابع الاستمرار والتطلع إلى المستقبل. فحتى وقت قريب من تأريخ الإنسانية كان التغيير في الإطار الاجتماعي والثقافي والطبيعي للحياة يحدث ببطء، وكان من الميسور في ظروف كهذه أن يتعلم أبناء الأجيال الجديدة قيم آباءهم ومعارفهم وان ينقلوها إلى أبنائهم وهم على يقين من أن هذا التراث الثقافي سيكون كافيًا لضمان تلائمهم مع المجتمع.. ومنذ الثورة الصناعية وخلال النصف الثاني من القرن العشرين بوجه أخص تعرض هذا الإطار لهزة عنيفة، فقد أدى التقدم الباهر الذي أحرزته المعارف العلمية وتطبيقاتها التكنولوجية إلى مضاعفة سيطرة الإنسان على بيئته وتزايدت سرعة التغيرات التي تعرضت لها. وفي يومنا هذا تتغير البيئة الطبيعية والمبنية في مختلف جوانبها بسرعة بالغة مما يسفر عن ظهور نظم اقتصادية واجتماعية وثقافية جديدة، ومن تولد مشكلات جديدة دون انقطاع. وأصبحت المعارف والتقنيات تتغير للمرة الأولى في تأريخ الإنسان خلال فترة تقل عن عمر الفرد..إذًا لا مناص لتربية تهدف إلى حل مشكلات البيئة من أن تتسم في هذا السياق بطابع الاستمرار ولكي لا تتخلف المعارف التي يكتسبها الناس ضمانًا لاستمرار فاعلية الأنشطة الجارية يتعين على التربية البيئية أن تحرص دائمًا على إعادة صياغة توجيهاتها ومضمونها وأساليبها، وان تعنى في ذات الوقت بان أن تكون المعارف المتاحة لمختلف الفئات مستوفية بصورة دائمة مع تطويعها للأوضاع الجديدة باستمرار.. وهي تتدرج بهذه الصفة في إطار التربية المستدامة.

ونخلص من كل ذلك إلى أنه يمكن للتربية ويتحتم عليها أن تلعب دورا أساسيا في درء مشكلات البيئة وحلها، ولكنه من الواضح أن الجهود التربوية لن تؤتي ثماراتها الكاملة إذا تجاهلت بعض العوامل الهامة الأخرى، ومنها على سبيل المثال أن يكون هناك تشريع يسعى إلى تحقيق نفس الأهداف، وان تتخذ التدابير اللازمة للسهر على حسن تطبيق القوانين وان تفرض قرارات حازمة وان يستعان بأجهزة إعلام الجماهير التي يتزايد نفوذها بين الناس. وينبغي لكل هذه العوامل أن تتظافر فيما بينها، وان

تشكل كلاً مترابطًا حتى تستطيع أن تسهم في حماية البيئة وتحسينها بصورة فاعلة.. ومن أجل ذلك فعلى التربية أن تعمل على تصريف رجال السياسة وغيرهم من المسئولين ممن يتمثل في قراراتهم رد المجتمع على مشكلات البيئة، بما يقوم بين البيئة والتنمية من تكافل وتكامل مع توعيتهم بالحاجة الماسة لأتباع أساليب أكثر رشادًا في تدبير أمور البيئة. وإذا كانت التنمية عملية مستمرة، ينبغي أن تعود بالنفع على جميع قطاعات الناس، فمن اللازم لسياسات التنمية أن تضع البيئة في اعتبارها.. وإذا أسقطت متطلبات التنمية من اعتبار الاهتمامات البيئية فسيؤدي ذلك على العكس إلى وضع سياسات لا تعود بالنفع على المجتمع المحلي في مجموعه.

(3) المنتفعون بالتربية البيئية:

تمارس فكرة التربية الشاملة المستديمة والمتاحة للجميع تأثيرًا واضحًا على مفهوم التربية البيئية وتنظيمها، إذ أن هذه التربية تهم المجتمع في مجموعه بحكم طبيعتها ووظيفتها. وينبغي أن تصبح متاحة لجميع لأفراد المجتمع المحلي بوسائل تتلاءم مع الاحتياجات والمصالح والبواعث الخاصة بكل فئة من فئات العمر ومن الفئات الاجتماعية المهنية على اختلافها. وما دام من الضروري أن تكون هذه التربية مستمرة ومتاحة للجميع، فمن المناسب إدخالها في جميع مراحل التعليم المدرسي وغير المدرسي أو النظامي وغير النظامي. ويأتي تعليم الجمهور في مقدمة المهام التي تناط بالتربية البيئية، فإلى جانب دورها في نقل المعارف العامة إلى جميع المواطنين، ينبغي لها أن تعمل على توعيتهم بما يصادفهم في حياتهم اليومية من مشكلات بيئية، وان تحثهم على انتهاج سلوك قويم، والعمل بصورة جادة على حل هذه المشكلات.ومن اللازم أن تصبح التربية البيئية متاحة للناس على اختلاف أعمارهم، وان تدخل في التعليم المدرسي بجميع مراحله: رياض الأطفال والابتدائي والمتوسط والثانوي والجامعي، وفي شتى أنشطة التعليم غير المدرسي لصالح الناشئة والبالغين أيًا كانت فئة الناس التي ينتمون إليها. ويتعين أن تدمج في عملية التعليم العام بكل بلد وان تنمى في كل مؤسسات التعليم ومناهجه.

وتتصل المهمة الثانية بتعليم فئات معينة لها بحكم عملها ونفوذها تأثير كبير على البيئة. والمعنيون هنا بصورة مباشرة هم المهندسون والمعماريون وخبراء تخطيط المدن ورجال القضاء والقانون ومتعهدو البناء ورجال الصناعة والنقابيون والأطباء وغيرهم.. ولا مندوحة لتوعية هؤلاء بنتائج قراراتهم وأعمالهم بالنسبة للبيئة، من أن توضح مناهج التعليم بحسب المهن والفئات الاجتماعية المعنية. ويمكن إدخال هذا النوع من التربية في التعليم النظامي، أو في المؤسسات المختصة بتدريب مختلف الفئات التي تمارس مسؤوليات اجتماعية معينة، سواء أكان ذلك أثناء تدريبهم المبدئي أو بمناسبة عودتهم لاستكمال دراستهم.

وتتصل المهمة الثالثة بتدريب بعض المهنيين والعلميين ممن يعكفون على دراسة مشكلات بيئية محددة، ويتعلق الأمر من هذه الناحية بمجموعة ضخمة تتألف من أشخاص يملكون مهارات تقنية بالغة التنوع، بعضهم أصحاب تخصصات عليا وتقنيات مراقبة تلوث الهواء والمياه وهندسة. وبعضهم الآخر يتلقى تدريبًا جامعيًا بين فروع العلم لإعدادهم لمعالجة مشكلات متشابكة. ويجب أن يدخل في الحساب أيضًا الأخصائيون في مجالات العلوم الطبيعية والاجتماعية الأساسية. فكل هؤلاء المهنيين والعلميين مطالبون، بحكم بحوثهم وأعمالهم التخصصية، بوضع معارف وثيقة يرتكز عليها التعليم والتدريب في مجال البيئة.

ومن المفيد أن نشير إلى أن ثمة علاقات تربط بين المهام الثلاث أنفة الذكر، سواء من حيث مضمون التربية البيئية أو من حيث المؤسسات التي تكلف بهذه التربية. إذ يتسم ذلك التعليم وهذا التدريب بكونهما مستمرين. ولابد من أن تنفذ المهام، التي أوردنا كلًا منها على حده في هذه الدراسة لأغراض منهجية وتحليلية، بطريقة منسقة. ويتعين أيضًا أن تشكل التوجيهات والمضامين كلًا مترابطًا يستند إلى الخبرة العملية والمعرفة العلمية، ويمكن استخدامه كمرجع مشترك لأنشطة التربية البيئية على أنها عملية يتم خلالها توعية الأفراد والجماعات ببيئتهم وتفاعل عناصرها البيولوجية والفيزيائية والاجتماعية والثقافية، فضلًا عن تزويدهم بالمعارف والقيم والمهارات

والخبرة وبالإرادة التي تيسر لهم سبل العمل فرادى وجماعات، لحل مشكلات البيئة في الحاضر والمستقبل. وينبغي أن تكون هذه التربية هادية لا لسلوك الناس وحدهم، وإنما أيضًا لسلوك المسئولين ممن يمكن أن تتأثر البيئة بقراراتهم. لقد كان ميثاق بلغراد بمثابة إطار علمي للتربية البيئية، أو هو في الواقع (ميثاق أخلاقي عالمي) يعتبر الأساس لكل عمل مستقبلي في مجال التربية البيئية.وقد تم على أثر هذا الميثاق عقد ندوات وطنية في أقاليم العالم المختلفة، من بينها ندوة عربية للتربية البيئية عقدت بالكويت في نوفمبر عام 1976.

وتوصل المجتمعون فيها إلى وضع معالم لاستراتيجية عربية للتربية البيئية أخذت معالم وسمات البيئة في الوطن العربي ولكن دون إغفال لتكامل البيئة العربية مع باقي بيئات العالم.